قطرة دمع

[إلى روح صديقي شهيد الواجب .. المرحوم أحمد شلبي]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أَسْكَتَتْهُ بَغْتَةُ الْمَوْتِ الرُّغَامَا ... أَيُفِيقُوهُ، فَهُوَ يَأْبَى أَنْ يَنَامَا !

أَيُفِيقُوهُ، فَهُوَ يَأْبَى أَنْ يَرَى ... هَامِدَ التُّرْبِ لِجَنْبَيْهِ مَقَامَا

أَيُفِيقُوهُ ! فَهُوَ فَجْرٌ رَاقِدٌ ... لَمْ يُعَوِّدْ نُورُهُ هَذَا الظَّلَامَا

لَمْ يَكَدْ يُشْرِقُ حَتَّى انْدَفَعَتْ ... رَاحَةُ التَّابُوتِ تَسْقِيهِ القَتَامَا

كَيْفَ لَمْ يَعْصِفْ بِهَا وَهُوَ الَّذِي ... لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَضَاءً وَاعْتِزَامَا ؟

فِي شَبَابِ الْعُمْرِ يَغْلِي أَمَلاً ... وَحَيَاةً ، وَانْبِثَاقاً ، وَاحْتِدَامَا

لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الصِّبَا إِلَّا خُطَى ... أَرْخَتِ الرُّوحُ لِسَاقَيْهَا الزِّمَامَا

فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ يَمْضِي طَائِراً ... يَهْتِكُ الرِّيحَ وَيَجْتَاحُ الْغَمَامَا

لَا هُدُوءٌ ، لَا وُقُوفٌ ، لَا هَوًى ... يَلْفِتُ الْإِعْصَارَ أَنْ يَمْضِي أَمَامَا

لَا كَلَالٌ ، لَا مَلَالٌ ، لَا دُجَىً ... يُوقِفُ السَّارِي أَنْ يَخْشَى الزِّحَامَا

وَإِذَا الْكَأْسُ الَّتِي مِنْ قَبْلِهَا ... تَشْرَبُ الْأَقْدَارُ آجَالَ النُّدَامَى

فَاجَأَ الْغَيْبُ بِهَا أَحْلَامَهُ ... فَإِذَا هِيَ بَيْنَ كَفَّيْهِ حُطَامَا

وَإِذَا آمَالُهُ فَوْقَ الثَّرَى ... رَكْبُ أَزْهَارٍ عَلَى قَبْرٍ تَرَامَى

ذَابِلَاتِ النُّورِ تَبْدُو مِثْلَمَا ... قَرَّحَ الْإِثْكَالُ أَجْفَانَ الْأَيَامَى

بَاكِيَاتٍ... أَنَا أَدْرِي دَمْعَهَا ... وَأَرَاهُ بَيْنَ جَنْبَيَّ ضِرَامَا !

وَإِذَاهُ جَذْوَةٌ هَامِدَةٌ ... وَصِبَاهُ مَضْجَعُ الْهَلْكَى أَقَامَا

لَا تَلُومُوهُ عَلَى رَقْدَتِهِ ... غَفْوَةُ الْأَكْفَانِ لَا تَدْرِي الْمَلَامَا

وَاسْأَلُوا الْغَيْبَ فَإِنِّي عَاجِزٌ ... لَمْ أَجِدْ إِلَّا قُبُوراً وَرِمَامَا ...

أَيْنَ مِنْ دُنْيَاكَ قَلْبٌ ضَاحِكٌ ... أَتْرَعَ الْأَيَّامَ صَفْواً وَابْتِسَامَا ؟

أَيْنَ آمَالٌ وَنَفْسٌ وَثَّبَتْ ... كَصَبَاحِ الصَّيْفِ نُوراً وَسَلَامَا

أَيْنَ ؟ لَا أَيْنَ .. فَمَاذَا بَعْدَهَا ... غَيْرُ دَمْعٍ فَاضَ مِنْ قَلْبِي كَلَامَا ؟

أَنْتَ أَخْرَسْتَ بَيَانِي مِثْلَمَا ... يُخْرِسُ الْإِعْصَارُ فِي الدَّوْحِ الْيَمَامَا

مَزَّقَ النَّعْيُ سُكُونِي وَمَضَى ... أَتُرَى أَعْمَدَ فِي الصَّمْتِ حُسَامَا ؟!

جِئْتُ أَرْثِيكَ فَمَالِي مُلْجَمٌ ... تَزْهَقُ الْأَنْفَامُ فِي عُودِي إِذَا مَا..

يَا رَبِيعَ الْعُمْرِ ، يَا نَشْوَتَهُ ... كَيْفَ أَطْلَقْتَ بِوَادِيهِ الْحِمَامَا ؟

وَهْوَ فَجْرٌ مِنْكَ مَطْلُولُ الرُّبَى ... وَأَدُهُ كَانَ عَلَى الْمَوْتِ حَرَامَا

كانت لنا أيام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

كانت لنا أيّامْ ... يا طِيبَ ما كانتِ !

لو هانت الأعوامْ ... باللهِ ما هانت !

مرّت بنا أحلامْ ... حتى إذا حانت

إشراقةُ الإلهامْ ... وَلَّتْ فما بانت

كانت لنا .. كانت!

كُنَّا مع الأطيارْ ... نَغْشَى البساتينَا

يُهْدِهِدُ الأزهارْ ... شَدْوُ أغانينا

وَيَفْتِنُ النُّوّارْ ... سِحْرُ أمانينا

تحتبسُ الأسحارْ ... هَمْسَ تناجينا

وتكتمُ الأشجارْ ... سِرٌّ تلاقينا

وكانت الأنوارْ ... تَغْمُرُ وَادِينا

تَغْفُو عَلَى القِيثارْ ... وهو يغنّينا

فِي غَفْلَةِ الآلامْ

أُغْنِيَةَ الأحلامْ

كانت لنا أيّامْ

يا طيب ما كانت !

متى يفيقُ النورْ ... من غَشْيَةِ الإظْلامْ

وَتَسْتَعِيدَ الدَّوْرْ ... عهدَ المنى البسّامْ

وتزدهي بالحورْ ... معارضُ الأجسامْ

ويهتفَ العصفورْ ... بأعذب الأنغامْ

ويُطْلِقَ المأسورْ ... سُجَّانَهُ الظَّلّامْ

متى ؟ متى يا نُورْ ... تُبَدِّدُ الأوهامْ

وتهزم الدَّيْجُورْ ... نَسَمَاتِ الآتامْ

وتنقضي الآلامْ !

لو صحّت الأحلامْ !

وعادت الأيّامْ

تصفو كما كانت !